أرفض تخوين «البرادعي» والحملات التي تهاجمه.. وأرى أنه تسرع في الاستقالة وتصور أموراً لا تتسق مع الواقع الذي تعيشه مصر

التباسات، وسألني نفس السؤال: هل هي ثورة؟ وجاءت الخطوات بعد الضغوط المستمرة والتصرفات في حدود الواقع، ويناقش على أساس فهم، لكن لم يخطر ببالي، ولكنه رجل فاهم قارئ للتاريخ ومتفهم دور الحركة الوطنية.

■ هذا يعيدني مجدداً إلى نقطة التفويض ولماذا يحتاج إليه؟

■■ لا بد من وضع طلبه للتفويض وكأنه لحظة بائسة، لأن هذا الرجل لديه محاولات كثيرة مع الرئيس مرسي، بعد الانتخابات الرئاسية، تقبل الجميع بالرضا وصول الإخوان إلى الحكم وأنا منهم، ثم تصور أن لديهم خارطة، وأنا شخصياً توقعت ذلك، وقلت إن كانوا سيواجهون إخفاقات وربما فشل السياسة الخارجية أو الاقتصاد سينجحون على الأقل في الملف الأمني، لكنهم لم ينجحوا في شيء، بل زادت المشكلات لأن رغبتهم في الاستيلاء على السلطة كانت كبيرة.

الفريق السيسي طلب التفويض في إطار زمني، فهناك رئيس جديد، وبكل الرغبة والثقة وفي بعض الأحيان اتهم الفريق السيسي أنه متواطئ مع الإخوان، لكنه احترم ذلك وما قالته الصناديق، رغم أن مسألة الصناديق تحتاج إلى حديث طويل، وفي ظل الظروف الملتبسة التي خرجت بها كل الأطراف، والبحث عن بديل تحت ضغط الأزمة والشك المتبادل، استشعر الفريق أن الأمور لا تسير على نحو جيد، وتقديرات الموقف الدورية تسوء، تقديراً بعد تقدير، لكن الشيء الغريب الذي لم يأخذه كثيرون في اعتبارهم، أن الرئيس مرسي ليس من الصفوف الأمامية في التنظيم، فهو قد يكون رقم 7، وأنه ليس المرشح الرئيسي وإنما الثاني الذي جاء في اللحظات الأخيرة، قبل 24 ساعة من غلق باب الترشيحات، فهو يعلم هذا جيداً ولذلك كان يخشى الجماعة في كثير من الأحيان.

لا بد أن نأخذ أنه عندما جاء الرئيس، هناك بريق، فالسلطة مبهرة، وكانت هناك علاقة ثلاثية غريبة، مرسي كان في حالة قلق مما يدار في مكتب الإرشاد، ويعرف أن هناك من يضغط عليه، وأحياناً يعطيه الإملاءات، وعندما حاول أن يلوح أنه القائد الأعلى للقوات المسلحة وأصر على استدعاء الجيش للاجتماع الأخير، وأنه القائد وهذا الجيش معه، كانت رسالة للإرشاد، وكان في وقتها الفريق السيسي لا يستطيع التعامل مع مكتب الإرشاد، وهو كيان لا يمكن توصيفه، وينبغي فوق كل شيء أن نعلم أن القوات المسلحة لديها وديعة الشرعية.

■ حتى في وجود الرئيس؟

■■ في فترات الحيرة والانتقال، هذه ليست أول مرة، «ديجول» مؤسس الجمهورية الرابعة بفرنسا، بعد فترة من الحكم تركه وعاد إليه بانقلاب عسكري بدأه من الجزائر.

■ لماذا لم يعزل مرسي السيسي؟

■■ كان من الصعب أن يفعلها، ومع ذلك لو سلمنا أنه فعلها، قد يواجه بقيادة جديدة لا يجيد التعامل معها وسيشعر بالقلق منها،وفي ذات الوقت شكه في الإخوان يجعله يلوح دوماً بأن الجيش معه، وهذا بدا واضحاً في الاجتماع الثالث ضمن اجتماعات يونيو الكارثية، ما جعله يصر على دعوة الفريق السيسي وقيادات الأفرع، وعندها وفي ذات اليوم ذهب السيسي إليه الساعة 2 ظهر ذلك اليوم، وقال له: «دعوتنا نحن وقيادات الأفرع، ونحن نرى أن هذا الاجتماع حزبي بامتياز، ولا نحبذ الوجود فيه»، واستمر النقاش والاجتماع ساعتين ونصف ساعة، وقال له: «هذا الاجتماع قد يسبب لبساً عند الكثيرين»، ولم أعرف ما حدث في الاجتماع إلا بعد عودتي، وقال: «لو أنا في مكانك سأصارح الناس بالأخطاء، لأن الناس وفقاً لتقديرات الموقف لديها غضب وقلق، وإذا كنت ستتحدث في الموقف الوطني سنحضر ونكون راضين»، وهذا حدث في أول 3 دقائق، حينما اعترف مرسي بالأخطاء، ثم عرج إلى ما أراد أن يوصله، وأكرر بهذا كانت الرسالة إلى الجماعة، بأن الجيش معه، وهو هاجم كل الناس، وفي ضوء يأس القيادة وسوء تقديرات الموقف، اضطر الجيش إلى التواصل مع مكتب الإرشاد وعقد اجتماعاً مع الشاطر والكتاتني وأحمد فهمي، رئيس مجلس الشورى، وعندما طرحت الأمور بدا حديث الشاطر غريباً، عندما قال: «أعطونا فرصة لعام آخر وأنتم تعلمون أن ثمة كميات كبيرة من الأسلحة المتدفقة عبر الحدود الغربية»، وإن حدث وشهدت بعض التهديدات محتمل استعمال السلاح، في رسالة اعتبرها البعض أنها تهديد، وقال أيضاً: «أنتم تعلمون أنه واضح أمام الناس أن أجهزة الدولة تعارض، وبمساندة من القوات المسلحة من خلال بيانات صدرت لكم»، وبدا الوضع وكأنه يلوح بعمليات إرهابية.

■ وهل هذا هو ما حدث؟

■■ ما حدث أن الفريق السيسي عندما حضر إلى الاجتماع الأخير، الذي ضم معظم القوى الوطنية والدكتور البرادعي وشيخ الأزهر والبابا تواضروس والسلفيين، دخل وفي ذهنه في هذا الوقت أن يعرض الاستفتاء على الرئاسة، وقلت هذا للدكتور البرادعي، وعندها قال: «ماذا سأقول للناس المتدفقة في الشوارع؟»، وعندها وقفنا في الشرفة وتابعنا الأعداد المتدفقة في الشوارع، وأنا لم أكن أرى السيسي إلا لفترات ومرات معدودة خلال عامين، وكنت أدلي برأيي في الموقف كواجب وطني، وكانت الكارثة أن شرعية هذا النظام تتآكل والنظام أوشك على السقوط والبلد ستصبح في مأزق كبير.

■ لكن الجماهير التي خرجت في يونيو لم تكن ستقبل بالاستفتاء على البقاء؟

■■ هذا ما قاله، كما ذكرت، الدكتور البرادعي أثناء زيارته، وقلت لا بد من استفتاء، وهو اجتماع منتظم بيني وبين البرادعي، ولم يكن مصادفة، وكان في الأول من يوليو وهو في مكتبي الساعة 6 مساء، وقلت للبرادعي: «لست مضطراً إلى أن تخبرها»، لأن حركة الجماهير دوماً تحتاج إلى خاتم دستوري، مهما كانت كثيفة، وتجربتي الشخصية في عهد ناصر عندما تنحى بعد النكسة وخرجت الجماهير تتظاهر لرجوعه، وقيل وقتها إن الاتحاد الاشتراكي هو من نظمها وإنها مصطنعة، رغم أننا لم نرَ مثلها في النسق والحجم، وعندما دخل الفريق السيسي أنا فوجئت.

■ هل ترى أن هذا الخيار كان خاطئاً؟

■■ لا، عندما طالب السيسي بالتفويض، كانت أمور كثيرة قد حدثت، والإخوان الذين يتحدثون عن الديمقراطية لا يقبلون بها ومصابون بالصدمة وعدم التصديق، ثم الإحساس بالدعم الخارجي من أمريكا والالتباس في أوروبا.

■ ماذا عن الاستقواء المستمر بالخارج؟

■■ نحن سمحنا للخارج بالتدخل بأكثر مما يجب ومما ينبغي، وأن يتدخل بأكثر مما هو صحي، ووصل الأمر إلى أن الأمريكان وسفيرتهم في القاهرة تدخلوا بشكل وقح وسافر ونحن نتحدث عن مستقبل، وكل اللوم يلقي في هذا الأمر على كافة الأطراف ولا نستثنى أحداً، لكن الإخوان مشكلتهم أكبر، وعندما رأيت «مرسي» أول مرة، بعد دعوته لي، قلت له: «عليك أن تثبت أنك رئيس لكل المصريين وليس لفصيل واحد، وأرجوك أن تعقل شيئاً سيادة الرئيس، أن تجمع شتات هذا البلد وتطمئنه وتزيل شكوكه»، لكن ما حدث هو ذهابهم للميدان وإصدارهم للأوامر، وبدأت الإشارات تشجعهم، وبدأت الصدمة ثم العنف، وإحساسهم بالصدمة أن هناك سلطة سيفقدونها، وهنا كانت إرادة الشعب أقوى من أي شيء ولم يتصورها أحد.

■ هل كان التفويض تأكيداً على إرادة الشعب؟

■■ عندما طلب التفويض كان يريد أن يؤكد أنه مستند إلى إرادة الشعب، وعندما شاهدته شعرت بفزع، ليس لأن الجماهير خرجت وراء السيسي في حد ذاته، لكن الفكرة برمتها وأنا أعلم أن الجمهور سيستجيب للسيسي، ولكن فزعي أن تخرج الجموع وتتلاقى المسيرات ويحدث التصادم.

■■ الإخوان و«رابعة» والعنف والاستقواء بالخارج.. إلى أين وصلنا؟ وهل هذه هي النهاية؟

■■ لا شك أن الضربة التي وجهت لهم كانت قاصمة، لكن علينا أن نميز جيداً ونفرز أن الفكرة الإسلامية في حد ذاتها تُحترم في الثقافة والوعي، لكن في السلطة هذا أمر آخر، وأمامنا تحدى كيف نفرق بين تنظيم الإخوان وأن هذا ليس حرباً على الإسلام، كما يروج البعض، وهؤلاء جاءوا للسلطة طالبين لها باسم الدين، وهذا أفزع الجميع، في وقت سابق قتلوا رئيس الوزراء وقتلوا وزيراً وقاضيا، ثم يقولون إنهم تعبوا في فترة ناصر، إذن بعد هذا ما هو المطلوب؟

■ لكنهم كانوا في السلطة لمدة عام كامل؟

■■ لو لم تكن هذه التجربة السابقة التي دفعتهم إلى التكريس والاستيلاء على مفاصل الدولة بدافع الشكوك، رغم أنهم تصالحوا مع الكل في تاريخ طويل ثم تصادموا معهم بعد ذلك في عهد الملك فاروق وعهدى السادات ومبارك، ولكن أكرر «لا بد أن نفرق بين تنظيم الإخوان من جهة والإسلام من جهة أخرى»، فهذه ليست حرباً على الإسلام، فهو في النهاية «موروث حضاري وهاد ونور وإضاءة على الطريق»، ليختار الإنسان طريقه بكامل إرادته الحرة.

■ مع دعواتهم للاستقواء بالخارج.. هل تحولت مصر إلى ملعب دولي يزوره الجميع؟

■■ الاستقواء بالخارج لم يكن ليحدث، إلا أنه كان موجوداً بالفعل، فهم موجودون ولهم مواقع قوية وتأثير على الفعل.

■ ما رأيك في فكرة رجل أو قوات مسلحة وقفت أمام العالم والغرب.. والطرف الآخر يأتي بكاترين أشتون وماكين وزعماء للتفاوض نيابة عنهم؟

■■ حقائق القوة توسع دائرة الفعل، لكن هذا لم يسقط الحواجز والموانع والقيود، النظام العالمى مصدوم بأن الشعب أزاح نظاماً بأكمله، ولم يستطع العالم الذي ينفذ مخططاً رسمياً في هذه البلاد وغيرها، وضد مشروع تركيا كانت راعية رسمية له، رغم أنني أعترض على الاندفاع والعداء تجاه تركيا، وأعتقد أنه لا بد ألا تدفعنا العواطف إلى رد فعل غير محسوب، حتى إن الحديث عن شيخ الأزهر حذفته الأناضول، والسفير عاد.

■ كيف قرأت ردود الأفعال الدولية حول أشتون وقطر وتركيا وغيرها؟

■■ السؤال: كيف أصبح لهؤلاء هذا القدر من التدخل في شئون البلاد؟ ما الأرضية الفكرية والسياسية التي جعلتهم يصنعون هذا ويتدخلون في شئون البلاد؟ هناك أوضاع سمحت للاتحاد الأوروبي، وإملاءات من الولايات المتحدة، وماذا تتوقعين ونحن ننتظر تصريحات أوباما أسبوعياً في كل ما له علاقة بشأن عام، هذا التدخل الحادث الآن هو استمرار لوضع سابق كان موجوداً.

■ هل ثورة 30 يونيو أثرت على هذا التدخل؟

■■ لا، هذه حقائق، القوة كما قلت توسع من دائرة الفعل والاختيار والتخلص من القيود، والأوضاع بما فيها الشأن الاقتصادي، أحياناً يقول البعض «اقطع المعونة»، ولا نريد صندوق النقد الدولي، هناك حقائق تحتاج إلى إدارة واعية تقدر ما يمكن أن نصنعه وما لا نستطيع.

■ قبل الحديث عن المستقبل.. دعيني أوجه تساؤلاً مهماً حول خروج البرادعي من المشهد.. هل توقعت هذا الخروج السريع؟

■■ لا بد أن أقول شيئاً، بداية أنا ضد الهجوم عليه والحملة ضده، ولا يصح ولا ينبغى ذلك، فالدكتور البرادعي قد يكون في ذهنه تصورات قد لا تكون في حقيقة الأمر متسقة مع الواقع، وكان هو ضمن الجزء الأصلي من خارطة الطريق، ووافق على الجزء الأصلي منها كما حدث، وكل التفاصيل الخاصة بعد ذلك وما بين السطور، قد نتفق أو نختلف على طريقة فض الاعتصام، لكن الخطة الأصلية التي نشأت منها التداعيات متفق عليها وهو وافق عليها، وأنا أرى أنه استعجل كثيراً بقراره الذي اتخذه، وكان لا بد أن يحاط بشكل أكثر بما يجري، ولا بد أن يعرف أن الإخوان لا فائدة منهم، فقد بدأت بصدمة، ثم مقاومة ثم استقواء، ثم عندما تتحدث معهم يقولون: «لقد فقدنا السيطرة على القواعد»، وأنهم في حالة بقاء في الاعتصام لما يسمى تحسين الموقف التفاوضي، وكانت هناك رغبة قوية من قوى خارجية أن يبقى الاعتصام فترة أطول وتصوير البلد وكأنه طودان، وكان لا بد أن يدرك أن بقاء الاعتصام لهذا الوقت بشكل أطول يؤدى إلى أمر خطير، وعندما عدت هاتفنى الدكتور البرادعى للاطمئنان علىّ بعد أحداث برقاش، والحقيقة حاولت سؤاله بأنني فوجئت باستقالته، فحاول أن يشرح لي وقلت إننى سأعود بعد الغد، فقال لي: «عندما تعود أكون أنا سافرت»، وأود فقط أن أقول إن موافقته على الخطة الأصلية، تعني موافقته على هذه التبعات، لكن في ذات الأمر أنا ضد هذه الهجمات عليه.

وهناك شيء بالمناسبة غفلت عنه، أن المعادلة بمن فيها مرسي والإخوان والجيش، وتلك الرسالة التي حاول مرسي إيصالها للجماعة أن الجيش معه، ثم سيناء التي بقت رهينة ويراهن عليها الإخوان أنها السبيل الذي سيجعل الجيش في الثكنات، وما حدث في سيناء السنوات الماضية، كان كثيراً عندما شُحنت فيه العناصر من أفغانستان وغيرها وكميات السلاح الغريبة والمتطورة من الحدود الغربية التي لا يصدقها عقل، ويبدو أن العقيد القذافي الذي حرص على التسليح بشكل مفرط، خزن هذه الأسلحة في المخازن، وتستخدم الآن بهذا الشكل.

■ ما رأيك في هذا العنف في سيناء والتفجير الانتحاري الذي حدث؟

■■ سيناء كانت الرهينة، سواء من خلال ترتيبات الأمن وفق معاهدة السلام، وكانت هناك قيود على الحركة، لكن التهريب كان سبباً رئيسياً فيما يحدث الآن، ويكفى أن القبائل التقليدية في سيناء بدأت تشعر بأوضاع غريبة وكثيرة، فالوافدون الجدد وزعماء القبائل أنفسهم يقتلون واحداً تلو الآخر، دون أن تكون هناك تقديرات حقيقية، سيناء تحولت إلى رهينة، ووسيلة ضغط ليبقى الجيش هناك دائماً.

■ هل يستخدم الإخوان سيناء حتى الآن للضغط؟

■■ على وجه اليقين، سيناء كانت رهينة وإلى هذه اللحظة، على الأقل مكشوفة، ولا تعلمين حجم المحاولات والتسلل إلى هناك، في آخر تقديرات تقدر أعداد الوافدين إلى هذه المنطقة بنحو 18 - 24 ألف شخص، هناك المجاهدون والإرهابيون والمعفو عنهم، وسيناء في المنتصف رهينة هذه الأطراف، مرسي كان يراهن على الجيش أمام الجماعة وأن تكون سيناء ثكنة للجيش للاستمرار فيها، وظلت سيناء قنبلة معلقة على كافة أطراف المشهد.

■ وعنف الإخوان أمام منزل وزير الداخلية؟

■■ هذا تطور طبيعي، وكان لا بد أن نلحظه، على الأقل حسن البنا كان ملتبساً، لكن مثلاً الهضيبي كتب «دعاة لا قضاة»، والمراحل التي مرت بها الإخوان بدأت بالدعوة، ثم التنظيم، ثم التكفير في عهد قطب، ولا بد أن نعرف أن عاكف هو آخر أبناء مدرسة الدعوة، والتيار القطبي المتشدد يسيطر الآن وشعاره التكفير.

■ لكن العمليات الإرهابية شكلها تغير؟

■■ لأنها تُفعل من قبل مَن تمرس في أفغانستان، عندما حدثت محاولة اغتيال وزير الداخلية، قامت الشركة المنتجة التي قامت بتصفيح السيارة بطلب إرسال سيارة نقل لنقل هذه السيارة المهشمة بعد الانفجار، ودراسة كيف أدى هذا الانفجار إلى تحويله إلى انفجار علوي لـ4 أدوار، وكيف انطبقت هذه الأبواب على وزير الداخلية، وأعتقد أنه عاش لحظات صعبة.

■ هل هذا يبعدهم عن المنظومة السياسية المصرية؟

■■ أعتقد، وأكرر، ضرورة التفرقة بين تنظيم الإخوان وما انزلق إليه، ولا أريد أن أتصور أن تكون هناك معركة تخلط بين الإخوان والإسلام، وما يفعلونه الآن أشبه بعملية انتحارية، كان عليهم أن يقبلوا بعملية الاستفتاء على الفترة الرئاسية والانتخابات المبكرة، وكان من الممكن أن يطلبوا ضمانة واحدة، وهي أن يشاركوا في الانتخابات المقبلة بمرشح منهم، ولكن أعتقد أن رفضهم لتأكدهم أنهم سيخسرون.

■ قلت إنك قابلت الرئيس المؤقت عدلي منصور؟

■■ رجل فاضل، وأسهم كثيراً في بث رسائل التطمين للمجتمع وللشارع المصري، من خلال حديثه للناس عبر الخطابات، وأنا أرى أن المسار الأمني الراهن لا بد أن يتبعه مسار اقتصادي واجتماعي حقيقي، وأنا - حقيقة - أعتقد أن البلاوي الذي عرفته كأستاذ ومفكر أذهلني بقدرته على البقاء وصموده رغم هذه المشكلات، وعندما قابلت عدلي منصور قلت له: «المرحلة الانتقالية تمهيد للبناء، وهذا دورك، وأرجوك لا تعاملها وكأنها تسيير أعمال، فأنت تمهد للبناء، وبالتالي لا بد أن تعرف المشروع القادم»، وأعتقد أنه حاول أن يبذل جهداً وأن يبدد خوف الناس، ولا ينبغى أن يترجم إلى جداول للمواعيد والتوقيتات دون دراسة المهام وتحديدها، حتى لا ندخل لقفص حديدي، ونحن في فترة نشك في أنفسنا ويشك فينا العالم.

■ قبل الدخول في قضية الدستور.. أخبرنا عن لقائك بهشام قنديل؟

■■ قابلت الدكتور هشام قنديل فعلاً، لكنى لم أكن أعرفه إلا بعد أن أصبح رئيساً للوزراء، ثاني يوم الإعلان فوجئت بأن أحدهم يخبرني بأن شخصاً ما يطلب مقابلتي.

■ لا يوجد مَن يقابل «الأستاذ» دون أن يطلب موعداً؟

■■ الرجل معذور، جاء ومعه زوجته، وأنا شعرت بالإحراج فاستدعيت زوجتي «هدايات»، التي ذهلت هي الأخرى، وقلت لها زوجة الدكتور هشام قنديل أرجوك استقبليها، ومكثت معها وقال لي: «لدىّ مبادرة وأريد أن أوصلها»، فقلت له: «أنا خارج السياق، لكني سأسمع لك ونتناقش»، وتحدث كثيراً واستمعت له لكنى عرفت أن زوجته جاءت معه لتقود السيارة الخاصة، لأنه تم سحب الحرس الخاص والسيارة الخاصة، وهنا تكمن مخاوف البيروقراطية المصرية عندما تطبق، انتزعت بشكل لا يقبل السيارة والحرس من رئيس وزراء ما زال قائماً.

■ كيف تقرأ التعديلات الدستورية وما يسمى لجنة الـ50؟

■■ أعتقد أنها بداية خاطئة، فالحديث الآن عن تعديل دستور، وأرى أن ما يجب الاستفتاء عليه هو دستور جديد، نحن نعلم أن هذا النظام سقط أن أي نظام سقط لا بد من تحرير دستور جديد، البداية خاطئة تشبه كثيراً تعديل المواد الخاصة بالتوريث، لا خلاف على حقوق الإنسان والحريات، لكن هذا دستور كتبوا فيه ما يريدون، وعلينا أن نضع دستوراً يعبر عن المرحلة.

■ هل ترى أن هناك إمكانية لتجاوز الإعلان الدستوري؟

■■ الإعلان الدستوري، مفترض أن يكون دستوراً جديداً، ولكنى أرى المشكلة ليست في تحديد توقيتات، لكن أخشى من تحويل الإعلانات المبكرة إلى أقفاص حديدية مزعجة تضر بنا في الأساس.

■ الوضع الإقليمي وسوريا.. هل سيؤثر علينا؟ وهل الضربة القادمة على سوريا معناها أنهم قادمون لنا وأنظارهم علينا؟

■■ أنظارهم متوجهة لنا منذ أن قال كيسنجر: «أنا لا أريد الوحدة العربية، وأريد أن أتعامل مع كل دولة على حدة»، وقبلنا هذا في التفاوض وقبلناه في المشاكل أيضا، فضاعت أوطان العراق ثم سوريا، ومصر يحاولون فيها الآن ولا يستطيعون، الأمر صعب عليهم، وكثير مما حدث لا نعرف عنه شيئاً، أين الصومال؟ وماذا حدث في السودان واليمن؟ الدول العربية تتساقط ولكن من مزايا ما يحدث في سوريا أنها مثلت يقظة قوية وكبيرة وتساؤلات حول ما يحدث.

■ هل تتوقع ضربة عسكرية؟

- لا أتوقع ذلك، «أوباما» يريد تقوية موقفه في الكونجرس، لكن أعتقد أن الأمور تغيرت بعدما قابل «بوتين» في قمة العشرين، لكن التراجع سببه ماذا يحدث داخل سوريا، وماذا سيحدث خارجها، وأعتقد أن ثمة بوادر للتمهل، وقد بدا هذا في خطابه الأخير، وليس من عادة هذا الرجل الإكثار من الكلام، فهو لا يتحدث كثيراً لكنه يوصل رسائله عبر أسلوب ناعم.

> **نحن سمحنا للخارج بالتدخل أكثر مما يجب ومما ينبغي، وأن يتدخل بأكثر مما هو صحي، ووصل الأمر إلى أن الأمريكان وسفيرتهم في القاهرة تدخلوا بشكل وقح و سافر**